تاريخ الإرسال: 2019/05/01 تاريخ القبول:2019/06/15

دور عبد الرحمن الحاج صالح في تطوير تعليم اللغة العربية

The role of Abdul Rahman Haji Saleh in the development of Arabic language teaching

د.أحمد بناني مريم يناني
benani.ahmed@cu-tamanrasset.dz Benanimeriem64@gmail.com
المركز الجامعي تامنغست

ملخص البحث

تحاول هذه الورقة البحثية الوقوف على جهود أب اللسانيات العربية ومؤسس النظرية الخليلية عبد الرحمان الحاج صالح وذلك من خلال تطويره لتعليمية اللغة باستثماره لمجزات الدرس اللساني الحديث وتوظيفه لآراء الدرس اللغوي العربي وما ثبت فيه من آراء تعليمية لم يكشف عنها الحجاب، وذلك بتأكيده على ضرورة التركيز على النحو التعليمي وانتقاء المحتوى بدقة وتقديم الممارسة على الحفظ والتلقين وكذا آراؤه في تصميم مناهج تعليمية فعالة في تعليم اللغة العربية ومحاولة محاكاة البيئة الأصلية لأي لغة تراد بالإضافة إلى رؤيته لأفضل الطرائق الفعالة في تعليم اللغة ودور المعلم والمتعلم في تعلم أي لغة وكذا إثارته لقضية تيسير النحو والتي أبدع رؤية جديدة بخصوصها حيث يعتبر التيسير عنده تسير طريقة لا تيسير محتوى باعتباره ينطلق من نحو زمن لم يختلط النحو فيه بفلسفة اليونان ولا جدلهم هذه جوانب وأخرى ستناقشها ورقتنا البحثية الموسومة ب" **دور عبد الرحمان الحاج صالح في تطوير تعليم اللغة العربية** " .

الكلمات المفتاحية: عبد الرحمان الحاج صالح، تطوير، تعليم، اللغة العربية.

Abstract :

This research paper attempts to identify the efforts of the Arab linguistics August and the founder of the Khalilet Abd al-Rahman Haj Saleh through the development of the language teaching by investing in the study of the modern linguistic

المنارة للاستشارات

lesson and employing the opinions of the Arabic language lesson and the proven educational opinions revealed by the veil, Emphasizing the need to focus on education, carefully selecting content and providing practice for memorization and indoctrination as well as its views in the design of effective curricula in teaching Arabic language and attempting to simulate the original environment of any language, in addition to its vision of the best effective methods in teaching the language and the role The teacher and the learner in learning any language, as well as raising the issue of the facilitation of Grammar, which created a new vision for it where the facilitation is a way of not facilitating content as it starts from a time when the philosophy of Greece is not confused or controversial these aspects and others will be discussed by our research paper tagged " The role of Abdul Rahman Haji Saleh in the development of Arabic language teaching"
Key words : The role, Abdul Rahman Haji Saleh, Arabic language, teaching.

مقدمة

إن عبد الرحمن الحاج صالح من اللسانيين العرب المحدثين الذين حاولوا المحافظة على أصالة الدرس اللساني العربي بالعودة إلى التراث والاستفادة من منجزات الدرس اللساني الحديث حيث ترك لنا أعمالا جليلة أسهمت بشكل كبير في إثراء الدرس اللساني العربي بل كانت كلها في خدمة اللغة العربية وتطوير تعليميتها جامعا بين التنظير والتطبيق، فهو عالم تناول بالبحث العميق مختلف القضايا المتصلة باللغة العربية تعلما وتعليما وما يميزه هو وقوفه على التراث واستكناه درره العلمية والموضوعية مستلهما إجراءات علمية دقيقة باستثمار المنجز اللساني الحديث ، فهو يقف على أبواب التراث فيدقق النظر في جميع جوانبه ويقلبه إلى شتى الأوجه ويحمله على محامل مختلفة ليفحص صحته ومدى صدق نتائجه، كما يقف على أبواب الدرس اللساني الحديث بعلمية وموضوعية لا تلغي ما أبدعه التراث اللغوي

المنارة للاستشارات

العربي ولا تذهب دون تفحص مع منجزات الدرس اللساني الحداثي إنه عالم مطلع أشد الاطلاع على بحوث ودراسات الدرس اللساني الحداثي بل متمرس في امتلاك مفاتيحه متحكم في مفاهيمه ومصطلحاته وبالمقابل هو عالم يمتلك ناصية البحث في التراث اللغوي والفحص لقضاياه ومباحثه، يقف على كل ذلك بعقل الناقد الحذق الباحث عن الحقيقة واضعا كل ذلك في خدمة اللغة العربية والدرس اللغوي العربي عموما، فكان له دور كبير في تطوير تعليمية اللغة العربية من خلال ما وقف عليه من قضايا تخص مستوياتها وكذا جوانب تقف على آليات بناء مناهجها وطرق تدريسها وآليات اكتسابها ففيم يكمن دور الحاج صالح في تطوير تعليم اللغة العربية؟

1-الانطلاق من الحقائق العلمية لبناء المنهاج التعليمي للغة العربية

يدعو عبد الرحمن الحاج صالح إلى ضرورة الانطلاق من الحقائق العلمية للتوصل إلى نتائج تجعل المتعلم يتحكم في استعمال اللغة في شتى الظروف منها:

1-1-اللسان وضع واستعمال: أي أنه "نظام من الأدلة الموضوعة لغرض التبليغ واستعمال فعلي لهذا النظام في واقع الخطاب" 1، فعند الشروع في بناء منهاج تعليمي للغة العربية يجب أن لا نغفل هذه الحقيقة العلمية التي تؤكد بأن اللسان ذو جانبين لا ينبغي الاقتصار على أحدها دون الآخر بل يلح على أن " الاستعمال الفعلي للغة في جميع الأحوال الخطابية التي تستلزمها الحياة اليومية هو الذي ينبغي أن يكون المقياس الأول في بناء كل منهج تعليمي وأسرار هذا الاستعمال ينبغي أن يلم بها اللغوي" 2 فهو يؤكد على أن الأصل في استعمال اللغة هو المشافهة قبل أن يكون كتابة وتحريرا فمتعلم اللغة يلجأ إلى المنطوق " فالاستعمال الطبيعي للغة يعتمد قبل كل شيء على المشافهة، فإذا اكتفى فيه على الجانب الكتابي فقط أو قل نصيبه في التعليم، فإن الطالب سيضطر بعد تخرجه أن بخاطب الناس بلغة مصطنعة، وإذا عم ذاك سيطعن في اللغة التي يتحد استعمالها اللفظي والكتابي في جميع مستوياتها أداء صوتيا وإفراديا وتركيبيا بعدم ملاءمتها لما يتطلبه حال الخطاب الطبيعي فيقال عنها بالتالي بأنها لغة أدبية محضة لا تصلح للتعبير في جميع أحوال الخطاب وعن جميع الأفكار والمعاني" 3، وفي هذه الاشارة يؤكد على أن الاكتفاء بالجانب الكتابي

المنارة للاستشارات

للغة يجعل المتعلم يعتقد بأن هذه اللغة متعالية لا تصلح لكل المقامات كما يميز بين أوجه عديدة في الاستعمال منها التعبير الترتيلي أو الإجلالي وهو الذي تقتضيه حرمة المقام وهي حال الانقباض كما سماها الجاحظ وفيها تظهر عناية المتكلم الشديدة بما ينطق به من حروف وما يختاره من ألفاظ وتراكيب حتى يبلغ به فرط التصحيح إلى اللحن الجلي أما المستوى الثاني فهو التعبير الاسترسالي فهو الذي تقتضيه مواضع الأنس كخطاب الأبناء والزوجة في المنزل والأصدقاء أو شخص آخر في غير مقام الحرمة 4، فهو يبين أهمية تمثيل اللغة لكل هيئات الخطاب التي يحتاجها المتعلم لأن إهمال الجانب الاستعمالي للغة يجعل المتعلم يعتقد بقصور اللغة عن التعبير عن احتياجه الحقيقي فلا تخلو أي لغة من هذين المستويين وبخاصة الوجه الاسترسالي وهو فصيح بعيد عن التكلف يميل إلى الخفة والاقتصاد في التعبير .

أ-إن أهم مبدأ من مبادئ النظرية الخليلية التي أبدعها الحاج صالح هو مبدأ الوضع والاستعمال فهو يميز بين ما يعود إلى وضع اللغة وبناها وما يعود إلى كيفية أداء هذا الوضع لأنه يؤكد بأن اللسان وضع واستعمال"أي نظام من الأدلة الموضوعة لغرض التبليغ ، واستعمال فعلي لهذا النظام في واقع الخطاب" 5، فاللغة بذلك نظام من الدوال يختار منها المتعلم ما يحتاجه للتعبير عن أغراضه ، وبالتالي يميز بين ما هو راجع إلى القياس، وما هو راجع إلى الاستعمال أي إجراء اللغة في أحوال خطابية معينة بحكم أن قوانين الاستعمال غير قوانين النحو والقياس، وهذا ما تجاهله النحاة المتأخرون ، فلكل من الوضع والاستعمال قوانين خاصة تخضع لها، ويترتب عن ذلك أن اللفظ والمعنى في الوضع غيرهما في الاستعمال 6، فالحاج صالح يؤكد على ضرورة التفريق بين ماهو دوال ومدلولات لمن يتصدى لتحليل عناصر اللسان أي أن يميز بين ما هو راجع إلى التأدية واختلاف كيفياتها بين الأفراد والمجتمعات والأقاليم وبين ما هو خاص بالوضع لا خلاف فيه لأنه شيء مجرد من أعراض الاستعمال لفظا أو معنى 7، لأن التركيز على جانب وإهمال الآخر سيؤثر تأثيرا بليغا في تحليل نظام اللغة وفي آليات تعليمه واكتسابه.

المنارة للاستشارات

1-2-التمييز بين النحو التعليمي والنحو العلمي:لأن الغاية من تعليم اللغة كما يصرح الحاج صالح هو "إكساب المتعلم القدرة العملية لا النظرية على استعمال اللسان وليس أن نجعل منه عالما متخصصا في علوم اللسان ... فالنحو كهيكل للغة – وهو بذلك صورتها وبنيتها– شيء والنظرية البنوية للعربية شيء آخر التي هي علم النحو شيء آخر ، وكذلك الأمر بالنسبة للبلاغة فهي كيفية استعمال المتكلم للغة والنحو فيما هو مخير فيه لتأدية غرض عين...فالذي يقصده المربي هو إكساب المتعلم القدرة على إجراء القواعد النحوية والبلاغية في واقع الخطاب ليس إلا، وهذا لا سبيل إلى تحصيله إلا بطرق خاصة لا بحفظ القواعد أو دراستها على حدة " 8،فغرض المعلم أن يعلم اللغة ويكسب المتعلم مهارة الحديث ويمكنه من أدوات تحقق له ذلك، فالمعلم ينشد تحصيل الملكة وهي" الصفة الراسخة أو المهارة المكتسبة في استعمال اللغة فهي قدرة يكتسبها الانسان يحكم بها أفعاله الكلامية، وهي غير علم النحو، فمعرفة المتكلم للغة التي ينطق بها هي معرفة عملية غير نظرية أما علم النحو كعلم قائم بذاته، فهو نتيجة لإعمال الفكر في بنية اللغة وأوضاعها" 9، فهو يدعو إلى أن يتحول الاهتمام بالنحو إلى نوع من المهارة لا نوع من المعرفة العلمية فقط ، فالمعرفة العلمية لا يمكن أن تحصل الملكة ما لم يجر التمرس عليها في ظل التخاطب الطبيعي في حال تبليغ الأغراض وملازمة مقتضيات الأحوال، ف "التمييز بين المعرفة النظرية للغة وبين تطبيقاتها في الممارسة اللغوية شيء أساسي ينبغي لكل معلم أن يكون على وعي تام به " 10، فالمعرفة النظرية لا بد منها ولكن بعد أن تستحكم الملكة .

أ-كما أن الحاج صالح يستدعي العناية بالبلاغة إلى جانب النحو في عملية الخطاب الطبيعي لأن اكتساب الملكة اللغوية يقتضي اكتساب الملكة اللغوية والنحوية والملكة التبليغية في آن واحد 11، فالجمع بين اكتساب الملكتين يسهم بشكل كبير في اكتساب اللغة لأن النحو " إحكام التصرف في مختلف البنى اللغوية والملكة التبليغية والقدرة على الربط الوثيق بين هذه البنى وما أشبهها، وبين الأغراض(وهي المعاني الوضعية) التي يمكن أن تؤديها بحسب ما يقتضيه حال

المنارة للاستشارات

الحديث(المقام) أي في حال خطاب معينة " 12، والبلاغة في مقام آخر هي " العمدة في الإيصال على اختلاف أنواعها وأشكالها مشافهة وتحريرا نثرا أم شعرا في مقام انقباض أو مقام أنس ، ففي كل هذه المستويات البلاغة موجودة لأن المعبر يتحتم عليه أن يختار العبارة التي تناسب المقام، وتستجيب لحال الحديث"13،

2-استثمار اللسانيات في النهوض بمستوى مدرسي اللغة العربية

يؤكد الحاج صالح على ضرورة استثمار علم اللسان الحديث في الرقي بمستوى معلمي اللغة العربية، لأن علم اللسان الحديث تناول جوانب مختلفة تخص اللغة وتعلمها وتعليمها بالبحث والدراسة وذلك من خلال:

2-1-الالمام بماجد في صعيد البحث اللساني

فهو يشير إلى ضرورة الاستعانة بما استجد من مباحث في الدرس اللساني الحديث وما أثبته العلم الحديث من حقائق وقوانين مفيدة ومناهج ناجعة في التحليل اللغوي، فلا ينبغي أن يجهل معلم اللغة بأن اللسان البشري يعد اليوم من الظواهر التي يمكن أن تحلل عناصره الصوتية بالآلات الإلكترونية ، ويمكن أن تبصر ذبذباتها وأشباحها الفيزيائية والفيزيولوجية بالآلات الراسمة، وأن تقاس بدقة فائقة مقاديرها كسرعة تردد الذبذبات ، وسعتها وشدتها، فتشخص بذلك أنواع الأداء الصوتي بمقاييس موضوعية، وأنه يمكن أن تسجل بالأشعة السينية الحركات الفيزيولوجية المحدثة للحروف الجامدة منها والمصوتة من الحنجرة إلى الشفتين، وما بينهما ، وأنه يمكن أن ترتب وتحصى بالرتابات (الأدمغة الإلكترونية) جميع ما يرد في نص من النصوص مهما بلغ طوله وحجمه من المفردات والتراكيب والمواد الأصلية والأبنية والسياقات 14، فالمعطيات اللسانية الحديثة قدمت للمدرس ما يمكنه من تحليل النظام اللغوي تحليلا علميا موضوعيا وذلك من خلال توظيف الأبعاد الفيزيولوجية والفيزيائية في الوقوف على نتائج دقيقة تخص مستويات النظام اللغوي،

إن المنجز اللساني الحديث أسهم في اكتشاف علاقة ثابتة بين العناصر اللغوية لفظا ومعنى، ونبه إلى إمكانية صياغتها صياغة رياضية مثل ما نجده في العلوم الفيزيائية بل أسهم ذلك في توظيف الرياضيات حيث أدى توظيفها إلى تجديد نظرتنا

المنارة للاستشارات

إلى البنى اللغوية وساعدتنا على استنباطها وتمثيلها ، وتقديرها وإلحاق بعضها ببعض لجامع بينهما، والتمييز الدقيق بين مراتبها، وإيجاد المقاييس التي تضبط تفريع الفروع من الأصول وغير ذلك 15، فمدرس اللغة العربية عليه أن يلم بهذا الجانب الذي من شأنه أن يهيئه إلى صياغة العلاقة بين العناصر اللغوية صياغة رياضية دقيقة نقودنا إلى وصف البنى اللغوية واكتشاف خصوصياتها في النظام اللغوي فتستنبط وتمثل وتقدر تقديرا علميا موضوعيا.

2-2- استثمار نتائج اللسانيات التربوية كبحث تطبيقي لعلمي اللسان والتربية

وذلك من خلال البحث فيما يجب أن نعلم من اللغة وكيف يجب أن نعلمه من خلال النظر في محتوى اللغة التي تقدم للمتعلم ، والنظر في محتوى الطريقة أو الطرق التي تستعمل لتبليغ هذا المحتوى ، وكذلك النظر في تأدية المدرس لهذه الطرق وكيفية تطبيقه لها16، فالبحث عن طبيعة المحتوى الذي ينبغي أن يدرس وعن طريقة تدريسه وكيفية تأديته هو استثمار للمنجز اللساني التربوي فليس كل ما في اللغة من الألفاظ والتراكيب وما تدل عليه من المعاني يلائم الطفل أو المراهق في طور معين من أطوار ارتقائه ونموه، فلا يحتاج المتعلم إلى كل ما هو ثابت في اللغة للتعبير عن أغراضه بل تكفيه الألفاظ التي تدل على المفاهيم العادية، وبعض المفاهيم العلمية والفنية أو الحضارية مما تقتضيه الحياة العصرية ، أما اللغة التقنية التي سيحتاج إليها بعد اختياره لمهنة معينة ثم الثروة اللغوية الواسعة ، فهذا سيكون من مكتسباته الشخصية يتحصل عليها على ممر الأيام في مسيرته الثقافية ، وفي تلقيه لشتى الدروس غير دروس اللغة 17، فالمتكلم لا يحتاج إلى كل ثابت في اللغة بل يستعين بالألفاظ العادية لتبليغ أغراضه ، وما عدا ذلك كله اكتساب يحصله المتعلم نتيجة جهده الشخصي بل يتراكم على مر الأيام بفضل مطالعاته ومشافهاته.

إن المتعلم لا يمكنه أثناء دراسته للغة في مرحلة معينة حدا أقصى من المفردات والتراكيب بل وفي كل درس من الدروس التي يتلقاها ينبغي أن يكتفي فيه بكمية معينة وإلا أصابته تخمة ذاكرية بل حصر عقلي خطير قد يمنعه من مواصلة دراسته للغة 18، فلا يحتاج المتعلم إلى كم هائل من المفردات ليعبر عن أغراضه، فيحتاج

المنارة للاستشارات

بقدر ما يبلغ أغراضه وإذا تم تجاوز هذا القدر المطلوب دون مراعاة قدرة استيعابه سيصاب بتخمة ستؤثر على اكتسابه للغة وحسن تفاعله معها.

عبد الرحمن الحاج صالح يريد من وراء ذلك أن يسهم مساهمة جادة في الكشف عن مشكلات تدريس العربية وتعلمها في مختلف مراحل التعليم عن طريق المنهج العلمي والتعامل مع البحث الميداني لجمع الحقائق وتحليلها لإيجاد الحلول المناسبة بكل موضوعية 19، فغايته تذليل الصعاب أمام اكتساب اللغة العربية وتبسيط سبل تلقينها للمتعلمين واكتساب ملكة التواصل بها.

2-3-استثمار المنجز اللساني في استهداف الملكة اللغوية وتحقيق ظروف اكتسابها

يشير الحاج صالح إلى ضرورة التمييز بين مرحلتين لتعليم اللغة العربية مرحلة يكتسب فيها المتعلم تدريجيا الملكة اللغوية الأساسية أي القدرة على التعبير السليم العفوي ، ويتجنب في هذه المرحلة كل أنواع التعبير الفني الذي يستخدم الصور البيانية ، والمرحلة الثانية هي مرحلة يكتسب فيها المهارة على التعبير البليغ الذي يتجاوز السلامة اللغوية ولابد أن يكون المتعلم قد تم إلى حد بعيد اكتسابه للملكة اللغوية الأساسية20 ، وهذا يعبر عن نوع من التدرج في اكتساب الملكة في الانطلاق من التعابير العادية المألوفة ثم الانتقال إلى التعابير الفصيحة البالغة البيان، كما أن تحقيق الملكة يمر عبر تحقيق ظروفها وهو ما يؤكد عليه الحاج صالح حيث يقول:" ينبغي أن تكون الظروف التي يقع فيها تعليم اللغة أقرب ما يمكن من الظروف الطبيعية والأحداث العادية التي يعيشها الطفل أو المواطن المغترب عند اكتسابهما للغة محيطهما إذ يجب ألا ننسى أن أبقى المهارات اللغوية وأرسخها هي تلك التي تحصل في جو من العفوية يغمره السعي الحثيث لإرضاء الحاجات والرغبات ودفع المضار وما إلى ذلك من المسالك الطبيعية، ومن ثم أهمية الدور الذي تقوم به الحوافز النفسية المختلفة في نيل المهارات " 21، فهو يشير إلى أهمية الظروف المحيطة والانغماس في اللغة بحيث لا يسمع المتعلم إلا نلك اللغة ولا

المنارة للاستشارات

يتحدث إلا بها وهذا مدعاة إلى ترسيخ الملكة واكتساب ناصية اللغة ، فكلما شعر المتعلم بأنه في جو طبيعي لاكتساب اللغة كلما سرع ذلك اكتسابه لملكتها.

إن مدرس اللغة يشترط فيه الحاج صالح أن يلم بكل جديد يخص حقل تعليمية اللغة ومن ذلك امتلاكه لملكة لغوية سيكلف بإيصالها إلى تلاميذه والمفروض أن يكون قد تم له ذلك قبل دخوله في طور التخصص كما ينبغي عليه أن يلم بقدر معين من المعلومات النظرية في اللسان وهو ما يعينه على تكوين تصور سليم للغة حتى يحكم تعليمها، ولا يمكن أن يحصل على ذلك إلا إذا اطلع على أهم ما أثبتته اللسانيات العامة واللسانيات العربية بصفة خاصة ، فملكة تعليم اللغة وإحكامها بالاطلاع على المنجز اللساني والتربوي وتطبيقه إياه في أثناء تخصصه بكيفية عملية منتظمة ومتواصلة 22، فيعنى الحاج صالح عناية كبيرة بمدرس اللغة العربية وذلك بإحكامه للملكة الأصلية للغة التي يهدف إلى تبليغها إلى المتعلم بالإضافة إلى إلمامه بالمعطيات اللسانية النظرية والتطبيقية ليكون ثقافة لسانية تبلور لديه تصورا شاملا للغة يسهم في تبليغه إياها للمتعلم، وتحيين معلوماته كلما استجد جديد في البحوث اللسانية والتربوية.

يؤكد الباحثون على أهمية تكوين مدرس اللغة لما له من دور كبير في تعليم اللغة فينغي أن يعد الذين يتصدون لتعليم اللغة ونحوها إعدادا يشتمل على فقه ومعرفة واعية بالنحو وسائر علوم العربية حتى لا يبق النحو مادة غريبة عن الأفكار فلا ينتفع به23، فالركيزة الأساسية هو المدرس الذي تسند إليه مهمة تلقين اللغة ، فتكوينه ينبغي أن يكون شاملا لجميع علوم اللغة فحسن تكوينه سينعكس إيجابا على تعليمها وتحفيز متعلميها.

كما أن أفضل السبل في توفير الظروف هي الاستعانة في ظل ذلك بما توفره المسموعات والمرئيات ومختلف المسموعات والمحسوسات لأن الإطار الذي تجرى فيه العمليات الرامية إلى اكتساب الآليات اللغوية واللاشعورية يكتسي أهمية بالغة في تحقيق الملكة اللغوية 24، فبفضل توظيف الوسائط سنشجع المتعلم ليتفاعل مع اللغة وتشد انتباهه إلى اكتساب بنياتها والنسج على منوالها.

المنارة للاستشارات

2-4- المادة اللغوية وآليات اختيارها وطريقة تبليغها

يؤكد الحاج صالح على ضرورة اختيار المادة العلمية بالاستناد إلى مقاييس علمية واضحة يحددها أهل الاختصاص وذلك من خلال جانبين أحدهما يخص المربي والآخر يخص المربي واللساني حيث يبين بأن ما يخص المربي هو أن يقوم بإحصاء المفاهيم التي يحتاج إليها المتعلم في مرحلة ما وتحديدها علميا ثم المقارنة بين هذه الشبكة من المفاهيم وبين ما يعرض بالفعل على المتعلم في الكتب وشتى المواد الدراسية لتقييمه واكتشاف نقائصه وثغراته من الوجهين النفساني الاجتماعي والتربوي25، فعلى المربي إحصاء ما يحتاجه المتعلم من مفاهيم ثم مقارنته مع ما يقدمه للمتعلم وذلك من خلال الوقوف عليها وقوفا علميا تجتمع فيه الأبعاد العلمية والاجتماعية والتربوية.

كما أن الجانب الذي يخص المربي واللساني هو البحث عن مدى صلاحية الألفاظ المعروضة بالفعل في الدراسة أو ما يقترحه المربون أو اللغويون لتغطية هذه الشبكة من المفاهيم ، والذي يهمهما جميعا هو هذا الجانب اللغوي النفساني الاجتماعي الذي ينبني عليه مصير اللفظ في الاستعمال، وتتوقف عليه حيويته وذيوعه في جميع الأوساط، ويختص بهذا الجانب المظهر اللفظي للوحدة اللغوية، وهو العنصر الدال بمختلف أجزائه ومجموع أوصافه الصورية والمادية ثم المظهر الدلالي له، وهو المعنى المدلول عليه سواء كان ذلك الذي وضع له في الأصل أو مجموع المفاهيم التي يحددها مختلف سياقاته في الاستعمال مضافا إليه جميع العناصر المعنوية التي تندرج في مجاله الدلالي ثم المظهر الاستعمالي الاجتماعي للفظة، فكلما لزم على المربي الباحث في المادة اللغوية أن يختار بين لفظين أو أكثر ، فلا بد أن يراعي هذه المظاهر الثلاثة ، وتكون مراعاته لها بأن يسلط على اللفظ المقاييس التي استخرجها علماء اللسان بالمشاهدة والتصفح والاحصاء26، فلا بد من تحقيق المعايير الثلاثة في اختيار المادة اللغوية وفق مظاهر ثلاثة المظهر اللفظي للوحدة اللغوية والمظهر الدلالي ثم المظهر الاستعمالي الاجتماعي للفظة.

المنارة للاستشارات

طريقة تبليغ المادة اللغوية ينبغي أن تأخذ بعين الاعتبار موارد ثلاثة رئيسة يستمد منها علماء اللسان وعلماء النفس والتربية الذين يشاركونهم في موضوع بحثهم المعلومات الأساسية التي يحتاجون إليها لتحرير نظرياتهم وهي الميدان من البحث الذي يعنى بكيفية اكتساب الطفل للغة آبائه ومحيطه قم ارتقاء هذه المهارة عنده ونموها ، وكذلك كيفية اكتسابه هو أو الراشد للغة ثانية غبر لغة الأم27 ، أما المجال الثاني فهو الخاص بآفات التعبير كأنواع الحبسة والحكلة وغيرهما من العاهات التي تصيب الانسان في قدرته على التعبير أو على فهم وإدراك ما يبلغه من الخطابات المنطوقة والمكتوبة ويسمى بعلم اللسان المرضي 28، والمجال الثالث هو الميدان التربوي اللغوي نفسه الذي يعنى بإجراء التجارب التربوية في عين المكان ، فيختبر على أسس علمية الطرق المختلفة الخاصة بتدريس اللغة ، وكل واحد من هذه الأنواع الثلاثة من البحوث يكون مصدرا هاما من المعلومات المحسوسة لا يمكن أن يستغني عنها الباحثون في طرق تدريس اللغات29.

يبين الحاج صالح أهمية الاستفادة من المنجز اللساني والتربوي في تعزيز تبليغ المادة اللغوية وذلك بضرورة اعتماد كل طريقة على خمسة أشياء منها الانتقاء الممعن للعناصر اللغوية التي تتكون منها المادة المعنية وهي بالنسبة للغة الألفاظ والصيغ مع ما تدل عليها من معان في الوضع والاستعمال، وكذلك التخطيط الدقيق لهذه العناصر أي توزيعها المنتظم حسب المدة المخصصة لها وعدد الدروس، وترتيبها في موضعها في كل درس بحيث تتدرج بانسجام من درس إلى آخر، بالإضافة إلى اختيار كيفية ناجعة لعرضها على المتعلم وتقديمها له وتبليغها إياه في أحسن الأحوال، وكذلك اختيار كيفية لا تقل نجاعة عن السابقة لترسيخها في ذهن المتعلم ، وخلق الآليات الأساسية التي يحتاج إليها ليحكم على استعمالها بكيفية عفوية30 ، فهو يشير إلى أهمية توظيف المعطى اللساني الحداثي الذي تناول بعض الجوانب المتعلقة بإلقاء وتلقي المعارف وفق أسس تراعي الجوانب المنطقية في ترتيب المادة وعرضها وكذلك التحكم في آليات تبليغها وفق مقتضيات خصوصية

المنارة للاستشارات

الموقف التعليم وكذلك طبيعة المرحلة العمرية التي يعيش المتعلم نوازعها النفسية المختلفة.

2-5 -التخطيط للمادة اللغوية ومراعاة تسلسها

يدعو الحاج صالح إلى تخطيط المادة اللغوية واعتماد التسلسل المنطقي فيها " فما من شيء يدخله التنظيم إلا ولابد أن يخضع لنوع من الترتيب، وإن كان عملا متواصلا وكان بالتالي الزمان من أبعاده فلا بد أن يخضع للتخطيط والتدرج والانتقاء، أما تخطيط المفردات وانتقاؤها، فقد سبق أن ذكرنا محاولة ضبط رصيد على مستوى الوطن العربي، وما يقال عن المفردات يقال أيضا عن التراكيب، وأفضل نمط تضبط به المثل التركيبية هو النمط النحوي الذي وضعه النحاة الأولون كما سبق أن قلناه ، ويجب أن يعتمد أساسا في بناء المناهج وألا تدرج الموضوعات النحوية التي توجد في كتب المتأخرين لأنها صورة مشوهة للنحو الأصيل البديع الذي نجده عند الخليل وأتباعه ، ويتفادى بذلك الكثير من التحليلات التي يغلب عليها طابع الفلسفة والمنطق الأرسطوطاليسي كالتصنيفات التي تعسف في إيجادها هؤلاء المتأخرون "31، فهو يدعو إلى ضرورة اعتماد صفاء النحو في اختيار محتوى النحو بالعودة إلى المرحلة التي كان الخلاف فيها تنوعا كما أنها لم تقع في أتون المنطق وتسلطه والفلسفة وخلافاتها المرتكزة على التعليل البعيد عن حقيقه ما وضع له النحو، كما ينشد تخليص النحو من الرؤى التي تحاول تحديثه وتبسيطه من خلال إلغاء بعض أسسه وأركانه الركينة بدعوى التيسير.

يدعو الحاج صالح إلى ضرورة تركيز على المتعلم أثناء التخطيط للمادة اللغوية وذلك "لأن أصل الأصول هو العناية بالمتعلم والتفطن إلى حاجاته التعبيرية الحقيقية ما هي اهتماماته وما هي الألفاظ والعبارات التي تستجيب لهذه الحاجات ، ويجب أن تبنى المناهج برمتها على هذا المبدأ العام"32، لأن مراعاة المتعلم تجعلنا نعود إلى الأهداف والكفاءات المستهدفة، فهو يؤكد مبدأ ينبغي أن ترتكز عليه المناهج الحديثه لتعزز ميول المتعلم للمادة التي يتعلمها كما يجعله ذلك يشعر بأن ما يقدم له يلبي

المنارة للاستشارات

حاجاته واهتماماته وهو ما يجعله يتفاعل مع المعرفة وينظر إليه من منظار تحقيق احتياج معين فتغدو المعرفة بذلك وظيفية.

كما يؤكد على ضرورة أن " يدرج في المناهج الأداء الصوتي كدرس مستقل ويعتمد في ذلك على الأوصاف العلمية لمخارج الحروف والظواهر الصوتية العربية عامة كالوقف والادغام وغيرهما، وكذا على الأداء القرآني للنص القرآني في الكتب القديمة التي ظهرت في العصور الأولى، وتوكل إلى علمائنا في الصوتيات الملمين بالتراث العربي اللغوي دراسة وافية حول الموضوع"33، وفي هذا العنصر يؤكد على البعد المهاري للدرس الصوتي لأنه المنطلق والمدخل لاكتساب اللغوة منبها إلى ضرورة الاستفادة من التراث الصوتي العربي وعدم القفز عليه لأنه يحمل في طياته جوانب إبداعية تمكننا من إبداع رؤى انطلاقا منه واستلهاما من المنجز اللساني الحديث، ويلح في هذا الجانب على الآداء القرآني كآلية من آلية تجسيد البعد المهاري المعزز للاكتساب السريع للغة.

يضيف إلى ذلك ضرورة أن "يدرج في المناهج مجموع القواعد الخاصة بالمستوى المستخف من التعبير الفصيح (الذي استعمل في التخاطب اليومي والمعاملات العادية ودونه العلماء) ويوكل إلى فريق من العلماء استخراج هذه القواعد من كتب النحو التي ألفها النحاة الأولون من الذين شافهوا فصحاء العرب" 34، وهو جانب من الجوانب التي تجعل المتعلم يحطم حاجز الخوف من قواعد اللغة ومن اللغة في حد ذاتها وذلك بالبحث في التراث عن الجانب المستخف من التعبير الفصيح الذي يحبب اللغة للمتعلم ويذلل اكتسابها وييسر أمامه التفاعل مع خصوصياتها.

3-استثمار المشاريع الرائدة لدعم تعليم اللغة العربية

هناك مشاريع لسانية كثيرة بادر بها عبد الرحمن الحاج صالح للنهوض باللغة العربية مستلهما ذلك من نقاط القوة في التراث العربي موظفا المنجز اللساني ومستفيدا منه ومن أهم تلك المشاريع مشروع الذخيرة اللغوية.

المنارة للاستشارات

3-1-مشروع الذخيرة اللغوية العربية

يؤكد الحاج صالح على أهمية مشروع الذخيرة اللغوية العربية في تدعيم تعليم اللغة العربية، وهو مشروع يشير إلى ذلك القاموس الجامع لألفاظ اللغة العربية المستعملة بالفعل وهو عبارة عن بنك من المعطيات اللغوية تجمع فيها لأول مرة جميع الألفاظ التي استعملت بالفعل في نص من النصوص القديمة أو الحديثة كروائع الأدب العربي وأمهات الكتب العلمية والأدبية، والكلام الذي يذاع بوسائل الاعلام عامة (عينة ضخمة مما يكتب في الصحف والمجلات، وما يسمع في التلفزة والإذاعة)، ويتم ذلك بجرد منتظم لهذه النصوص، وتخزين ألفاظها في ذاكرة الحاسبات بذكر جميع السياقات التي وردت فيها، ودرجة تواترها (دورانها) ومرجعها وغير ذلك 35، فهو مشروع يجمع الألفاظ العربية المستعملة بالسياقات التي وردت فيها مع تحديد درجة تواترها، فيقدم للمعلم ولأي باحث بنكا من المعلومات مرتبا ترتيبا محكما يستعين به المدرس في ضبط سياقات الكلمات ودرجة تواترها مما يسهل عملية وضع المصطلحات العلمية والتقنية .

إن مشروع الذخيرة مشروع يتميز بالشمولية بحيث يساعد الباحث على ضبط مختلف سياقات المفردات لأنه مشروع يضم الملايين من السياقات المختلفة الأغراض والأزمنة وتغطيتها بذلك لغالب الحاجات ليستعين به اللغوي والمؤرخ والعالم الاجتماعي والجغرافي وغيرهم لغزارة المادة اللغوية الاجتماعية المجمعة لاختلاف العصور والأماكن والأغراض ولسهولة العثور على المبتغى وسرعة ذلك36 ، فشمولية مشروع الذخيرة تسهل الوصول إلى المفردات المبتغاة كما يساعد على ضبط المفردات التي يحتاجها المتعلم في جميع مستويات التعليم لتمكنه من التعبير عن أغراضه اليومية وما تقتضيه المقامات العلمية والتقنية في هذه المراحل التعليمية.

خاتمة:

نخلص إلى أن جهود عبد الرحمن الحاج صالح مهمة في تطوير تعليمية اللغة وذلك بتأ كيده على ضرورة الانطلاق من الحقائق العلمية للتوصل إلى نتائج تجعل المتعلم يتحكم في استعمال اللغة في شتى الظروف، وذلك بالتمييز بين الوضع والاستعمال

المنارة للاستشارات

في اللسان وكذا التفريق بين النحو العلمي والتعليمي، وكذلك ضرورة استثمار علم اللسان الحديث في الرقي بمستوى معلمي اللغة العربية، وكذاك استثمار المنجز اللساني التربوي للنظر فيما يجب أن نعلم من اللغة، وكيف يجب أن نعلمه من خلال النظر في محتوى اللغة التي تقدم للمتعلم ، والنظر في محتوى الطريقة أو الطرق التي تستعمل لتبليغ هذا المحتوى ، وكذلك النظر في تأدية المدرس لهذه الطرق وكيفية تطبيقه لها، و استثمار المنجز اللساني في استهداف الملكة اللغوية وتحقيق ظروف اكتسابها، بالإضافة إلى تخطيط المادة اللغوية واعتماد التسلسل المنطقي، وكذلك استثمار المشاريع الرائدة لدعم تعليم اللغة العربية كمشروع الذخيرة اللغوية العربية.

الهوامش والإحالات:

1- عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، موفم للنشر، الجزائر ، 2007،ص175

2-نفسه، ص 176

3- نفسه، ص 176

4- نفسه ، ص 176-177

5- صالح بلعيد ، مقالات لغوية، دار هومة ، الجزائر، 2009، ص42

6- نفسه، ص 42

7- عبد الرحمن الحاج صالح، أثر اللسانيات في النهوض بمستوى مدرسي اللغة العربية، مجلة اللسانيات، الجزائر، العدد4، ص39

8- عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية ، ص 182

9- عبد الرحمن الحاج صالح، الأسس العلمية لتطوير تدريس اللغة العربية بجامعة الجزائر، مجلة المعرفة، وزارة الثقافة السورية، العدد 270، آب 1984، ص 77

10- الشريف بوشحدان، النظرية الخليلية الحديثة وسبل ترقية تعليم اللغة العربية فيما قبل الجامعة، مجلة التواصل في اللغات والثقافة والآداب، جامعة عنابة، ع 31 سبتمبر 2012، ص 111

المنارة للاستشارات

11-صالح بلعيد ، مقالات لغوية، ص 42
12- نفسه، ص 42
13-نفسه، ص 42-43
14- عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في علوم اللسان،،ص181-182
15- نفسه، ص 182
16- نفسه، ص 200
17-نفسه، ص 203
18- نفسه، ص 203
19- الشريف بوشحدان، الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح وجهوده العلمية في ترقية استعمال اللغة العربية، مجلة كلية الآداب واللغات، جامعة بسكرة، الجزائر، ع 7 جوان 2010، ص 32-33
20-عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في علوم اللسان، ص 225
21- نفسه، ص 225-226
22-نفسه، ص 199-200
23-أحمد عبد الستار الجواري ، نحو التيسير- دراسة ونقد منهجي ،مطبعة المجمع العلمي العراقي، د.ط، 1984 ص 15
24-عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في علوم اللسان ، ص 226
25-نفسه، ص 206
26-نفسه، ص 207
27-نفسه، ص 214
28-تفسه، ص214
29-نفسه، ص 214
30-نفسه، ص 224
31-عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص 186

المنارة للاستشارات

32-نفسه، ص 188

33-نفسه، ص 188

34-نفسه، ص 189

35-عبد الرحمن الحاج صالح، الأسس العلمية لتطوير تدريس اللغة العربية، ص 88

36-نفسه ، ص 88-89

المصادر والمراجع

1- أحمد عبد الستار الجواري ، نحو التيسير- دراسة ونقد منهجي ،مطبعة المجمع العلمي العراقي، د.ط، 1984

2- شريف بوشحدان، الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح وجهوده العلمية في ترقية استعمال اللغة العربية، مجلة كلية الآداب واللغات ، جامعة بسكرة ، الجزائر، ع 7 جوان 2010،

3- شريف بوشحدان، النظرية الخليلية الحديثة وسبل ترقية تعليم اللغة العربية فيما قبل الجامعة، مجلة التواصل في اللغات والثقافة والآداب، جامعة عنابة، ع 31 سبتمبر 2012

4- صالح بلعيد ، مقالات لغوية، دار هومة ، الجزائر، 2009

5- عبد الرحمن الحاج صالح، أثر اللسانيات في النهوض بمستوى مدرسي اللغة العربية، مجلة اللسانيات، الجزائر، العدد،4

6- عبد الرحمن الحاج صالح، الأسس العلمية لتطوير تدريس اللغة العربية بجامعة الجزائر، مجلة المعرفة، وزارة الثقافة السورية، العدد 270، آب 1984

7- عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في علوم اللسان ، موفم للنشر، الجزائر ، 2007

9- عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، موفم للنشر، الجزائر ، 2007

المنارة للاستشارات